مقدمة المؤلف

لم يدوِّن الصابئة المندائيون تاريخهم، ولم يفسِّروا فكرهم وانغلقوا على أنفسهم عبر مراحل طويلة من الزمن، ومع ذلك تعرضوا لحملات من المجازر والاضطهاد والتشريد؛ مما جعلهم أقوامًا مهاجرة تطلب الأمان والمحافظة على حياتهم ودينهم، وهناك فترات لا تُقاس بعمر الزمن استقروا فيها فأبدعوا في مجالات الصناعة والعلم والأدب.

فيما مضى من الزمن لم ينقلوا تعاليم كتبهم الدينية من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية واللغات الحية الأقوى، والأدهى من ذلك تكتُّم رجال الدين على هذه الكتب وأخفوها عن العامة والخاصة رغم أنهم يعلمون أنهم غرس التوحيد الأول، وأنهم أهل الفكر والمعرفة والتوحيد الأول والإيمان.

الكثير من المؤرخين والباحثين وخاصةً الأوائل نقل بعضهم عن بعض فمنهم مَن أصاب ومنهم مَن خاب... إذن هناك نقلٌ من الصحيح ونقلٌ من الضعيف، مَن نقل من الصحيح فهو منصف، ومَن نقل من الضعيف فهو مجحف.

في العصر الحديث قام نخبة ممتازة من أبناء الصابئة المندائيين بترجمة عدد من الكتب المندائية، وفي مقدمتها (الكنزا ربا) «الكنز العظيم»، وتعاليم النبي يحيى بن زكريا «يوحنا المعمدان» أو كما يسمونه هم «يهيا يهانا»، تلك الكتب التي تم ترجمتها إلى اللغة العربية والإنجليزية، وقد سبقهم بعض المستشرقين بالترجمة إلى لغات حية أخرى، وأصبح من الميسور على الباحث حاليًا أن يطَّلع على أسفار هؤلاء القوم.

ولكي نكون منصفين يجب أن نذكر أهم الأسباب التي أدَّت إلى عدم تدوين التاريخ المندائي:

١-عدم اهتمامهم بالحياة المادية ، واهتمامهم بالروحانيات باعتبار هذه الحياة فانية. **(كلٌّ مَن يولد يموت ، وكل ما يُصنَع بالأيدي يفسد ، والعالم كله يفنى ، فأين سر الألوهية التي فيه ، إن عكازكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون ، فانظروا إلى ماذا تستندون)**[١].

٢-تكتُّم رجال الدين خاصة وعدم بوحهم بأي معلومات.

٣-الكتب الدينية كُتِبت باللغة المندائية الآرامية الشرقية التي لا يجيدها إلا عدد من رجال الدين ، وعدد محدود جدًا من المعنيين بالشأن المندائي.

٤-عبر التاريخ لم يكن لهم دولة وإمارة أو ملك أو أمير ، فهم كثيرو الهجرة والارتحال ؛ طلبًا للأمان والرزق الحلال.

٥-صعوبة مفاهيم الدين وطقوسه وشعائره ، سبب عزوف كثير من المثقفين والمهتمين عن التأليف والترجمة والبحث.

٦-عدم إنصاف المؤرخين الأوائل ، وعدم حيادهم وسطحية معالجاتهم ، وعدم البحث والتقصي والمعاشرة الميدانية والعيش معهم ، جعلهم يكررون الأخطاء والتقييم غير المنصف وغير الأمين.

٧-عامل التوجس والخوف عندما يكونون تحت حماية دين آخر أسس دولة قوية.

٨-انزواؤهم ردحًا من الزمن في أعماق الأهوار ، وانقطاعهم عن مظاهر المدنية كان سببًا في ذلك.

لقد أزفت الساعة أن تنتخي نخبة ممتازة بكتابة التاريخ المندائي وتفسير فكر ومبادئ كتاب الكنز العظيم ، وأن تنتشر كل الكتب والدواوين المندائية لتكون في متناول الباحثين ليكتبوا بصدق وأمانة ودقة ؛ لينصفوا الحق ، ولبيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود. مع ضرورة التركيز على التاريخ المعاصر للطائفة وتدوينه وقراءة المستقبل والعمل بموجب خطة عمل ، واستثمار الهجرة وبلدان

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

المهجر المتقدمة حضاريًا وتكنولوجيًا في كل المجالات، وتربية النشء الجديد على العلم والمعرفة ودفعهم ليتبوءوا مراكز علمية متقدمة، وليظهر منهم علماء وأدباء يغنون البشرية كما أغناها أسلافهم من آل قرة وآل صابي وآل سام.

من الضروري جدًا إضافة حلقات جديدة إلى سلسلة العلم والأدب والمعرفة.

كنت دائمًا أكرر ما يكتبه المنصفون وأمقت ما يكتبه المجحفون بدوافع طائفية مقيتة؛ أو لأنهم ينظرون إلى غيرهم بازدراء، فيبالغون بالحقد والأنانية وهم يعرفون حق المعرفة أنهم على باطل؛ ولهذا ركزنا على المنصفين، وأهملنا كلام المجحفين الذين خانتهم الأمانة العلمية ومبدأ الحياد والدقة.

التاريخ الإنساني لا يرحم المتطرفين الحاقدين؛ لأنه لا يمكن حجب ضوء الشمس بغربال، ولأن الحق هو الله، وقول الحق هبة من الله فلا يحق إلا الحق، ولا يصح إلا الصحيح.

بارك الحي العظيم بالمنصفين الأمناء، ولعن المجحفين الأشقياء.

ومنه العون والتوفيق..

د. بشير عبد الواحد يوسف